

هل هُنّاك نوايا سعوديّة للتقرب جدّيًّا مع إيران؟ وما الجديد الذي يَقْرِف خلف هذا التّغيير "المشروع"؟



وكيف سيكون ردّ الفعل الإيراني؟ ولماذا جرى اختيار وزير الخارجية لتمرير الرسائل المُشفّرة وفي هذا التّوقيت؟

عبد الباري عطوان

يشتكي مُعظم المسؤولون السعوديون، وأخـرـهم الأمـيرـ فـيـصلـ بـنـ فـرـحـانـ، وزـيرـ الـخارـجيـةـ، من قـيـامـ إـيـرانـ بـأـنشـطـةـ تـزـعـزـعـ الـأـمـنـ وـالـاسـتـقـرـارـ فيـ الـمـنـطـقـةـ، اـبـتـدـاءـ مـنـ لـبـنـانـ، وـمـرـورـاـ بـسـوـرـيـةـ، وـالـعـرـاقـ، وـالـيـمـنـ، وـاـنـتـهـاءـ بـالـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ نـفـسـهـاـ، وـيـقـدـ مـوـنـ اـنـفـسـهـمـ وـبـلـدـهـمـ عـلـىـ أـنـهـمـ "ـجـمـلـانـ وـدـيـعـةـ" مـُنـزـهـةـ عـنـ الـأـخـطـاءـ، وـهـذـاـ فـيـ تـقـدـيرـنـاـ يـُشـكـلـ خـلـلاـ كـبـيرـاـ فـيـ سـيـاسـاتـ الـمـلـكـةـ، تـعـكـسـ هـُرـوبـاـ مـنـ الـاعـتـرـافـ بـهـذـهـ الـأـخـطـاءـ كـمـقـدـ مـةـ ضـرـورـيـةـ لـلـمـرـاجـعـةـ وـالـإـلـصـاـحـ، وـاـسـتـعـادـةـ دـوـرـهـمـ وـمـكـانـهـ بـلـادـهـمـ كـقـوـةـ إـقـلـيمـيـةـ رـئـيـسـيـةـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ.

الأمير بن فرحان قال بالأمس في تصريحاتٍ لمحيطةِ الـ"ـسـيـإنـإنـ" إنّ هـُنـاكـ فـرـصـةـ لـلـتـقـارـبـ معـ إـيـرانـ فـقـطـ، وـإـنـّـماـ لـشـرـاكـةـ مـعـهـاـ أـيـضـاـ، إـذـاـ أـوـقـفتـ سـلـوكـهـاـ الـمـزـعـزـعـ لـلـاسـتـقـرـارـ، وـتـزـوـدـ إـلـرـهـاـ بـيـنـ بـمـعـدـاـتـ صـنـعـ القـنـابـلـ"ـ فـيـ إـشـارـةـ إـلـىـ الـيـمـنـ، وـلـكـنـهـ يـنـسـيـ فـيـ الـوـقـتـ نـفـسـهـ أـنـ"ـ التـدـخـلـ العسكريـ الـذـيـ قـادـهـ بـلـادـهـ فـيـهـاـ، أـيـ"ـ الـيـمـنـ، مـُنـذـ سـنـوـاتـ، وـضـخـ الـمـلـيـارـاتـ وـآلـافـ الـأـطـنـانـ مـنـ الـأـسـلـحةـ وـالـمـعـدـاـتـ الـثـقـيـلةـ لـحـرـكـاتـ مـُسـلـحـةـ لـزـعـزـعـةـ اـسـتـقـرـارـ سـوـرـيـةـ، وـدـعـمـ الـغـزوـ الـأـمـرـيـكـيـ لـلـعـرـاقـ، وـاـسـتـخـادـ الـجـامـعـةـ الـعـرـبـيـةـ لـتـوـفـيرـ الـغـطـاءـ الشـرـعيـ الـعـرـبـيـ لـقـصـفـ حـلـفـ الـذـاـتوـ لـلـيـبـيـاـ وـتـغـيـيرـ

الذّظام فيها، كلّها عوامل أضعفـت العمل العربيّ المُشترك، وخدمـت الطّموحـات الإيرانيـة في التـدخـل في شـؤون المـنطقة وتحـويلـها إلى قـوـة إـقليمـيـة عـظـمى.

إـیران مــثـلـ المـملـکـةـ، أو أيـ دـولـةـ أـخـرىـ، تـسـعـىـ منـ أجلـ مـصالـحـهاـ، وـتـقوـيـةـ نـفوـذـهاـ وـتوـسيـعـهـ، وـهـذـاـ طـمـوحـ مـشـرـوعـ، وـلـكـ ماـ يـمـيـزـهـاـ عنـ غـيرـهـاـ، أـنـهـاـ اـعـتـمـدـتـ عـلـىـ قـدـرـاتـهـاـ الذـاتـيـةـ فيـ إـطـارـ صـنـاعـةـ عـسـكـرـيـةـ، وـبـنـاءـ دـولـةـ مـؤـسـسـاتـ بـمـاـ مـكـنـهـاـ منـ حـرـماـيـةـ نـفـسـهـاـ، وـتـطـوـيرـ قـدـرـاتـ دـفـاعـيـةـ عـسـكـرـيـةـ مـُـتـقدـمـةـ جـدـاـ فيـ الـمـجاـلـاتـ كـافـةـ، رـغـمـ الـحـصـارـ الـأـمـرـيـكـيـ الـخـانـقـ، بـيـنـماـ أـقـدـمـ الـعـربـ فيـ الـمـقـابـلـ، وـعـلـىـ رـأـسـهـمـ الـمـمـلـکـةـ، عـلـىـ تـدـمـيرـ قـدـرـاتـهـمـ الدـفـاعـيـةـ، وـالـانـخـرـاطـ فـيـ الـمـشـارـيـعـ الـأـمـرـيـكـيـ لـتـدـمـيرـ مـراـكـزـ قـوـةـهـمـ فـيـ الـعـرـاقـ وـسـورـيـةـ وـلـيـبـيـاـ وـالـيـمـنـ، وـالـتـخـلـيـ عنـ ثـوابـتـهـمـ الـقـومـيـةـ وـأـبـرـزـهـاـ قـضـيـةـ فـلـسـطـينـ، وـفـتـحـ أـجـوـائـهـمـ وـحـدـودـهـمـ وـأـسـوـاقـهـمـ لـإـسـرـائـيلـ وـبـضـائـعـهـاـ، وـالـلـوـقـوـفـ فـيـ خـنـدـقـهـاـ فـيـ مـوـاجـهـةـ حـرـكـاتـ الـمـقـاـوـمـةـ، وـالـسـقـوطـ فـيـ خـنـدـقـ الـطـائـفـيـةـ.

إـذاـ كـانـتـ إـیرـانـ مـُـتـهـمـةـ بـبـذـرـ بـذـورـ الـطـائـفـيـةـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ، فـإـنـ الـطـرـقـ الـأـقـوىـ لـمـوـاجـهـهـ هـذـاـ الـخـطـرـ، لـيـسـ بـالـسـلاحـ نـفـسـهـ، وـإـنـهـاـ بـالـسـلاحـ الـمـضـادـ لـهـ، أيـ "الـلـاطـئـفـيـةـ"ـ وـإـلـاـحـ الـبـيـنـ الـعـرـبـيـ وـتـعـزـيزـهـ، وـتـعـبـيـةـ الـأـمـةـ وـقـدـرـاتـهـاـ وـأـرـمـدـتـهـاـ الـبـشـرـيـةـ وـالـمـالـيـةـ الـضـخـمـةـ، لـبـنـاءـ مـشـرـوعـ نـهـضـةـ عـرـبـيـ فـيـ كـلـ الـمـجاـلـاتـ، وـلـكـ هـذـاـ لـمـ يـأـحـدـثـ، وـمـاـ حـدـثـ هـوـ الـعـكـسـ، أيـ الـاـرـتـمـاءـ فـيـ الـحـضـنـ الـأـمـرـيـكـيـ، وـالـآنـ الـحـضـنـ الـإـسـرـائـيلـيـ، وـجـاءـتـ النـتـيـجـةـ خـسـارـةـ الـهـوـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ، وـأـصـبـحـنـاـ "مــثـلـ الـغـرـبـ الـذـيـ قـلـدـ الـحـسـونـ، فـلـمـ يـمـدـحـ حـسـونـاـ، وـلـمـ يـبـقـ غـرـابـاـ".

الأـمـيـرـ فـيـصـلـ بـنـ فـرـحـانـ يـعـتـقـدـ فـيـ تـصـرـيـحـاتـهـ الـأـخـيـرـةـ أـنـ إـیرـانـ تـنـتـرـ الـتـقـارـبـ الـسـعـودـيـ معـهـاـ، أـوـ حـتـىـ الشـرـاكـةـ عـلـىـ أـحـرـ منـ الجـمـرـ، وـهـذـاـ اـعـتـقـادـ خـاطـئـ تـُـثـبـتـهـ التـطـوـرـاتـ الـسـيـاسـيـةـ الـمـُـتـسـارـعـةـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ لـصـالـحـهـاـ لـعـدـةـ أـسـيـابـ:

الـأـوـلـ: توـقـيعـهـاـ مـعـاهـدـةـ اـسـتـراتـيـجـيـةـ اـقـتـصـادـيـةـ وـأـمـنـيـةـ وـعـسـكـرـيـةـ مـعـ الـصـينـ لـمـدـدـةـ 25ـ عـامـاـ، سـيـكـونـ عـمـودـهـاـ الـفـقـرـيـ اـسـتـثـمـارـ 450ـ مـلـيـارـ دـولـارـ لـبـنـاءـ الـبـنـىـ التـحتـيـةـ الـإـیرـانـيـةـ، وـاستـیـرادـ الـصـينـ مـلـيـونـيـ بـرـمـيلـ مـنـ الـنـفـطـ الـإـیرـانـيـ يـوـمـيـاـ مـُـرـشـحـةـ لـلـاـرـتـفـاعـ بـشـكـلـ تـدـريـجيـ.

الـثـانـيـ: اـسـتـجـداءـ الـإـدـارـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ الـحـالـيـةـ إـیرـانـ لـلـعودـةـ إـلـىـ الـاتـفـاقـ الـنوـويـ دـوـنـ أيـ شـروـطـ مـُـسـبـقةـ بـهـاـ فـيـ ذـلـكـ اـنـخـرـاطـ الـبـلـدـيـنـ فـيـ تـنـازـلـاتـ مـُـتـبـالـدـلـ مـُـتـزـامـنـةـ، وـإـصـرـارـ إـیرـانـ فـيـ الـمـقـابـلـ عـلـىـ رـفـعـ كـامـلـ وـفـورـيـ للـعـقـوبـاتـ دـفـعـةـ وـاحـدـةـ قـبـلـ أيـ حـدـيـثـ مـباـشـرـ لـأـنـ الـوـضـعـ الـحـالـيـ يـمـنـاسـبـهـاـ وـلـيـسـ فـيـ عـجلـةـ مـنـ أـمـرـهـاـ.

الـثـالـثـ: اـنـخـرـاطـ إـیرـانـ فـيـ حـلـفـ "واـرـسـوـ"ـ جـديـدـ يـمـهـمـ قـوـيـةـ عـظـمىـنـ هـمـاـ الـصـينـ وـرـوسـياـ، وـثـالـثـةـ نـوـويـةـ هـيـ كـورـياـ الـشـمـالـيـةـ، وـمـفـتوـحـ لـضـمـ قـوـيـ إـقـلـيمـيـةـ أـخـرىـ مــثـلـ فـنـزوـيلاـ وـالـهـنـدـ وـباـكـستانـ وـرـبـّـماـ تـرـكـياـ وـمـصـرـ أـيـضاـ، بـيـنـماـ تـُـواـجـهـ إـسـرـائـيلـ حـلـيفـ بـعـضـ الـدـوـلـ الـخـلـيجـيـةـ الـأـزـمـاتـ الـدـاخـلـيـةـ

المُتفاوضة، والحضار المُشاروخي على حافة حرب أهلية، وانقسامات حادة.

الرابع: استثمار إيران في قضية العرب المركزية، وتسلیحها وتمويلها أذرعًا عسكريّة مُقاومة عقائدية إسلاميّة في العراق واليمن ولبنان وقطاع غزة، بينما تستثمر السعودية وبعض حلفائها في التطبيع مع دولة الاحتلال الإسرائيلي بشكلٍ مُباشر، أو غير مُباشر، وبعد أن فقدت الكثير من تفوّقها، وفُدرتها على حسم الحرب لصالحها بسرعةٍ مثلما كان عليه الحال في الماضي، مُضافًا إلى ذلك أنّ سلاح المال الخليجي يَفقد سحره بشكلٍ مُتسارع وربما يضمحلٌ نهايةً في السنوات العشر المُقبلة على الأكثـر.

قبل أقل من عشر سنوات كانت هناك شراكة وتقارب سعودي- إيراني غير مسبوق خاصّةً في زمن الرّئيسيين هاشمي رفسنجاني، وأحمدى نجاد، وكان الرّئيسيان المذكوران يحظيان باستقبالٍ حميمٍ جدًّا من نُظرائهم السعوديين، ويتقدّمان على معظم، إن لم يكن كُلّ، الزّعماء العرب بما فيهم مصر وسوريا والجزائر، في بروتوكولات الاستقبال في القمم الإسلاميّة، ومن المُفارقة أنّ هذا التّقارب تحوّل إلى عداءٍ بعد تولّي السيد حسن روحاني الزعيم الإصلاحي المُعتدل، الحكم في إيران، وأعلن لصحيفة "الشرق الأوسط" السعودية أنّ أوّل دولة سيزورها هي السعودية، الأمر الذي يطرح العديد من علامات الاستفهام حول نهج مؤسسة صنع السياسات في المملكة.

إدارة باراك أوباما الديمocrاطية خدعت السعودية وطعنتها في الظهر، عندما تفاوضت من خلف ظهرها مع إيران لمدة ستة أشهر في مسقط، وتوصلت إلى اتفاق النووي عام 2015، بينما كانت تبيعها صنفـات أسلحة بعشـرات المـليارات من الدـولارات استـعداداً لـشنّ حربـ ضدـها، ومن غير المـستـبعد أن يتكرـر السـيناريو نفسه مع تهاـفت إدارة بـايدن الـديمقـراطيـة للـعودـة إلـى الـاتفاق نفسه بأـيـ ثـمنـ، والأـكـثرـ منـ ذـلـكـ وـقـفـ بـيـعـ الأـسـلـحةـ كـخـطـوـةـ أـولـىـ لـتـغـيـرـ مواـزـينـ القـوـةـ فيـ الـيـمـنـ، وـمـنـ المـُـفـارـقةـ أنـ التـوصـيفـاتـ السـعـودـيـةـ لـلـإـيـرـانـيـينـ كـمـجـوسـ وـعـدـدـةـ الـذـارـ مـُـسـتـمـرـةـ بـمـوـازـاهـ إـطـلاقـ حـربـ شـرـسـةـ للـجـيـوشـ الـإـلـكـتـرـونـيـةـ عـلـيـهـمـ بيـنـماـ يـأـتـيـ ردـ حـلـفـائـهـ فـيـ الـيـمـنـ بـالـصـوـارـيخـ الـبـالـيـسـتـيـةـ وـالـطـيـرانـ المـُـسـيـرـ المـَلـفـومـ بـاـتـجـاهـ مـُـنـشـآـتـ الطـّاـقةـ فـيـ الـعـمـقـ السـعـودـيـ...ـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ.